

ملحق العقيدة الواسطيّة

بقلم
علوي بن عبد القادر السّقّاف

مقدمة الملحق

□□□□□□

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أشار عليّ بعض الإخوة الأفاضل أن
أضم مع هذا الشرح المبارك أهم مسائل العقيدة
التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في
(العقيدة الواسطية))، وكذلك شارحها الشيخ
محمد خليل هراس، وذلك تسهيلاً لمن يُدرّسُ أو
يُدْرَسُ هذه العقيدة.

وبعد تفكير طويل استجبت لرغبة الإخوة؛
بعد أن علمت أن كثيراً ممن يدرسون ((العقيدة
الواسطية)) يضطرون إلى أن يفتشوا في غيرها
من كتب العقيدة ليستخرجوا منها ما لم يذكره
شيخ الإسلام من مسائل مهمّة في العقيدة،
فأردت بهذه الزيادة (الملحق) إتمام أبواب
العقيدة؛ بحيث يجد الباحث أو المدرس لهذه
المادة جميع أبواب العقيدة التي يحسن دراستها

وتدريسيها للناس، وجعلتها في ملحق خاص آخر
الكتاب.

عملي في الملحق:

نظرت في المطبوع من كتب العقيدة التي بين أيدينا، وطفقت أبحث عن مسائل العقيدة التي لم يذكرها شيخ الإسلام في ((الواسطية))، فوجدتها لا تزيد عن تسع مسائل؛ كلها ذكرها أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في ((متنه)) المشهور، أو ذكرها شارحه ابن أبي العز، وهي كالتالي⁽¹⁾:

- 1- الجماعة والفرقة.
- 2- الموالة والمعادة.
- 3- الحكم بغير ما أنزل الله.
- 4- عدم الخروج على الأئمة.
- 5- الميثاق.
- 6- الإسراء والمعراج.
- 7- أشراط الساعة.
- 8- الجنة والنار.

¹ () لم أذكر في هذا الملحق المسائل المتعلقة بالتوحيد وأقسامه، والشرك وأنواعه؛ لأن هذه المسائل مطائنها كتب التوحيد وشروحها، وبذكرها يتضاعف الكتاب ويخرج عن أصله. فليعلم.

9- ذم الكلام ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة.

ولما كانت هذه المسائل التسع أهم المسائل التي عدها من كتب في العقيدة من أبواب العقيدة، ولما كانت كلها موجودة كما أسلفت في ((شرح)) ابن أبي العز - ((العقيدة الطحاوية))؛ فقد سيرت على طريقة تشبه طريقة شيخ الإسلام في ((الواسطية)) وشارحها الهراس؛ من حيث الاختصار والإيجاز، وذلك على النحو التالي:

أ - أذكر متن الطحاوي.

ب- أذكر في الهامش الموضوع الذي ذكر فيه المتن من ((شرح الطحاوية))؛ لابن أبي العز الحنفي (تحقيق الألباني، الطبعة الثامنة)، والموضوع الذي ذكر فيه شيخ الإسلام نحو كلام الطحاوي في أي من كتبه.

ج - أذكر شرح ابن أبي العز لكلام الطحاوي مختصرًا مع ذكر الصفحة.

د- علقت تعليقات يسيرة، وخرّجت الأحاديث؛ متبّعًا الطريقة نفسها في أصل الشرح.

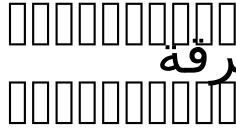
هـ- أدخلت الآيات والأحاديث والمراجع وغيرها في مواضعها من الفهارس العامة.

هذا؛ وأسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأن يكون هذا العمل نافعًا ومفيدًا للأساتذة والمربين الذين نذروا أنفسهم لتعليم الناس عقيدة السلف أهل السنة والجماعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

□□□□□□



فصل في الجماعة والفرقة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَدَابًا)⁽¹⁾.

الشرح: قال تعالى: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^(١).**

وقال تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٢).**

وقال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَيَّ وَاللَّهُ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٣).**

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 512-517)، و((مجموع الفتاوى)) (1/12-19 قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك ونتيجته).

2 () آل عمران: (103).

3 () آل عمران: (105).

4 () الأنعام: (159).

وقال تعالى : \hat{a} وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ⁽¹⁾
فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ۖ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ تَزَلَّ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي
شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۗ⁽²⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:
((إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على
اثنين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق
على ثلاث وسبعين ملة (يعني: الأهواء)، كلها
في النار؛ إلا واحدة، وهي الجماعة))⁽³⁾. وفي
رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:
((ما أنا عليه وأصحابي))⁽⁴⁾.

والأمور التي تتنازع فيها الأمة في
الأصول والفروع، إذا لم تُردَّ إلى الله تعالى
والرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لم
يتبين فيها الحقُّ، بل يصير فيها المتنازعون
على غير بيِّنة من أمرهم: فإن رحمهم الله؛

1 () هود: (118، 119).

2 () البقرة: (176).

3 () تقدم تخريجه (ص 93).

4 () تقدم تخريجه (ص 93).

أَقْرَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَمْ يَبِغِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ وَعَثْمَانَ يَتَنَازَعُونَ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ الاجْتِهَادِ، فَيُقَرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَعْتَدِي، وَلَا يُعْتَدَى عَلَيْهِ. وَإِنْ لَمْ يُرْحَمُوا؛ وَقَعَ بَيْنَهُمُ الْاِخْتِلَافُ الْمَذْمُومُ، فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: إِمَّا بِالْقَوْلِ؛ مِثْلَ تَكْفِيرِهِ وَتَفْسِيْقِهِ، وَإِمَّا بِالْفِعْلِ؛ مِثْلَ حَبْسِهِ وَضَرْبِهِ وَقَتْلِهِ.

فَالنَّاسُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ: إِمَّا عَادِلُونَ، وَإِمَّا ظَالِمُونَ؛ فَالْعَادِلُ فِيهِمْ: الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ، وَالظَّالِمُ: الَّذِي يَعْتَدِي عَلَى غَيْرِهِ.

وَأَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا يَظْلِمُونَ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَظْلِمُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِ الَّذِي فِي يَدِ ابْنِكُمْ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ الْوَالِدِ﴾ (١).

وَاللَّهِ! فَلَوْ سَلَكَوْا مَا عِلْمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ؛ أَقْرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ كَالْمَقْلِدِينَ لِأُمَّةِ الْعِلْمِ،

1 () آل عمران: (19).

الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون
عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك
المسائل، فجعلوا أئمتهم نوابًا عن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا: هذه غاية
ما قدرنا عليه؛ فالعادل منهم لا يظلم الآخر
ولا يعتدي عليه بقولٍ ولا فعلٍ؛ مثل أن
يدَّعي أن قول مقلِّده هو الصحيح بلا حجة
بيديها، ويذم من خالفه مع أنه معذور. اهـ



فصل في الموالة والمعاداة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ،
وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ)
(1)

الشرح: قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ
اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾.

الوليُّ: من الولاية – بفتح الواو – التي
هي ضدُّ العداوة؛ فالمؤمنون أولياء الله،
والله تعالى وليُّهم:

قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ لَهُمُ

¹ () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 357-362)،
والفصل الأول من كتاب ((الفرقان بين أولياء الرحمن
وأولياء الشيطان)) لشيخ الإسلام ابن تيمية.
² () يونس: (62، 63).

الطَّاغُوتِ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ ۖ (١)

وقال تعالى: ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا
مَوْلَى لَهُمْ ۖ (٢)

ۖ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ (٣)

وقال تعالى: ۖ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ ۖ (٤)

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالة
المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء
الله، وأن الله وليهم ومولاهم.

1 () البقرة: (257).

2 () محمد: (11).

3 () التوبة: (71).

4 () المائدة: (55, 56).

فالله يتولى عباده المؤمنين؛ فيحبُّهم
ويحبُّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن
عادى له وليًّا؛ فقد بارزه بالمحاربة.

وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست
كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا
وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ۝^(١) .

فالله تعالى ليس له وليٌّ من الدُّنْيَا، بل
لله العزَّة جميعًا؛ خلاف الملوك وغيرهم،
ممن يتولاه لذلِّه وحاجته إلى وليٍّ ينصره.

والولاية أيضًا نظير الإيمان، وتكون كاملةً
وناقصةً؛ فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين؛
كما قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَ
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ

¹ () الإسراء: (111).

الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۞ (1).

فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في مَحَابِّهِ وَمَسَاخِطِهِ.

فوليُّ الله: هو مَنْ والى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال تعالى فيهم: ۞ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۞ (2)؛ فَالْمُتَّقُونَ يجعلُ اللهُ لهم مخرجًا مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويُعطيهم الله أشياء يطول شرحها.

وقوله: **((وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبِعُهُمُ لِلْقُرْآنِ))**: أراد: أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم.

1 () يونس: (62-64).

2 () الطلاق: (2-3).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ ﴾ (١).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال: ((لا فضل لعربي على عجمي، ولا
لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود،
ولا لأسود على أبيض؛ إلا بالتقوى، الناس
من آدم، وآدم من تراب)) (٢).

فإنَّ التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق
الإيمان؛ لا بفقرٍ ولا غنى.

وقال رحمه الله تعالى:

**(وُنُجِبُ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبِغِضُ أَهْلَ
الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ) (٣).**

الشرح: وهذا من كمال الإيمان، وتمام
العبودية؛ فإنَّ العبادة تتضمن كمال المحبة

¹ () الحجرات: (13).

² () (صحيح). رواه أحمد في ((المسند)) (5/411)،
والطبراني في ((الأوسط)) (5/305/رقم 3116 مجمع
البحرين)، والبزار بنحوه (2/224/رقم 1745 مختصر
الزوائد)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في
((اقتضاء الصراط المستقيم)) (1/367 تحقيق العقل)،
والألبناني في ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 361).

³ () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 383، 384).

ونهايتها؛ فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده
المؤمنين من محبة الله؛ فإن المحب يُحِبُّ ما
يُحِبُّ محبوبه، ويبغض ما يُبغض، ويرضى
لرضائه، ويغضب لغضبه.

واللهُ تعالى يحبُّ المحسنين، ويحبُّ
المتقين، ويحبُّ التَّوَّابِينَ، ويحبُّ المتطهِّرين،
ونحن نحِبُّ من أحبَّه الله.

واللهُ لا يحبُّ الخائنين، ولا يحبُّ المُفسدين،
ولا يحبُّ المستكبرين، ونحن لا نحِبُّهم أيضًا،
ونبغضهم؛ موافقةً له سبحانه وتعالى.

وفي ((الصحيحين)) عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم: ((ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ
الإيمان: مَنْ كانَ اللهُ ورسوله أحبَّ إليه ممَّا
سِوَاهُما، ومَنْ كانَ يحبُّ المرءَ لا يُحِبُّه إلاَّ اللهُ،
ومَنْ كانَ يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه
الله منه كما يكره أن يُلقى في النار))⁽¹⁾.

¹ () رواه: البخاري في (الإيمان، باب حلاوة الإيمان)،
ومسلم في (الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد
حلاوة الإيمان).

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة
المحبيب في محبوه ومكروهه، وولايته
وعداوته.

ومن المعلوم أنَّ مَنْ أَحَبَّ اللّهَ المحبة
الواجبة؛ فلا بدَّ أن يُبغض أعداءه، ولا بدَّ أن
يحبَّ ما يحبُّه من جهادهم؛ كما قال تعالى: **إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُومٌ** ⁽¹⁾،
والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال
الخير والشر؛ فإن العبد يجتمع فيه سبب
الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض،
فيكون محبوبًا من وجه، ومبغوضًا من وجه،
والحكم للغالب. اهـ



¹ () الصف: (4).

فصل في الحكم بغير ما أنزل الله

□□□□□□□□□□

قال ابن أبي العز شراح الطحاوية⁽¹⁾:
(وهنا⁽²⁾) أمر يجب أن يُتفطن له، وهو أن
الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا
ينقل عن الملة، وقد يكون معصيةً كبيرةً أو
صغيرةً، ويكون كفرًا: إما مجازيًا، وإما كفرًا
أصغر، على القولين المذكورين، وذلك
بحسب حال الحكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم
بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو
استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا
كفرٌ أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل
الله، وعلمه في هذه الواقعة⁽³⁾، وعدل عنه،
مع اعترافه بأنه مستحقٌ للعقوبة؛ فهذا
عاصٍ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا أو كفرًا
أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 323).

2 () ذكر الشارح هذا الكلام عند شرحه لقول الطحاوي:
((ولا تكفر أحدًا من أهل القبلة بذنوب ما لم يستحله...)).

انظر: (ص 267).

3 () هو هنا رحمه الله يتحدث عن الوقائع والقضايا الحالّة.

جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطائه؛ فهذا مخطئ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور)). ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((الفتاوى)): ((ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽¹⁾ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽²⁾ .
...⁽³⁾)).

وقال أيضًا: ((وولي الأمر إن عرف ما جاء به الكتاب والسنة؛ حكم بين الناس به،

1 () المائة: (50).

2 () النساء: (65).

3 () ((مجموع الفتاوى)) (408-35/407).

وإن لم يعرفه وأمكنه أن يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، حتى يعرف الحق؛ حكم به، وإن لم يمكنه لا هذا ولا هذا؛ ترك المسلمين على ما هم عليه، كل يعبد الله على حسب اجتهاده، وليس له أن يلزم أحدًا بقبول قول غيره، وإن كان حاكمًا.

وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا؛ فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حكم قوم بغير ما أنزل الله؛ إلا وقع بأسهم بينهم⁽¹⁾.

وهذا من أعظم أسباب تغير الدول؛ كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا.

¹ () (حسن). رواه ابن ماجة في (الفتن، باب العقوبات)؛ بلفظ: ((وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وبتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم))، وأوله: ((يا معشر المهاجرين))، ورواه أبو نعيم في ((الحلية)) (8/333)، وفي سندهما ابن أبي مالك، خالد بن يزيد، وهو ضعيف، ورواه الحاكم في ((المستدرک)) (4/540) بإسناد حسن. انظر: ((السلسلة الصحيحة)) (رقم 106).

ومن أراد الله سعادته؛ جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانته؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^(١).

فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم؛ فإن الحاكم إذا كان دنيًّا، لكنه حكم بغير علم؛ كان من أهل النار، وإن كان عالمًا؛ لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه؛ كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم؛ كان أولى أن يكون من أهل النار.

وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًا في دين

¹ () الحج: (40، 41).

المسلمين⁽¹⁾، فجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، ونهى عما أمر الله به ورسوله؛ فهذا لون آخر، يحكم فيه رب العالمين، وإله المرسلين، مالك يوم الدين، الذي اَ لِهَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلِيَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اَ (2) الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (3).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم⁽⁴⁾.

أقوال العلماء في التشريع العام :

1 () شيخ الإسلام هنا يفرق بين الحكم في قضية معينة والحكم العام أو التشريع العام، واعلم أن الحكم في قضية أو قضايا معينة كفر وذنوب عظيم، وهو من باب كفر دون كفر، أمّا التشريع العام فنصوص العلماء قديماً وحديثاً - بل قد نقل ابن حزم وابن القيم وابن كثير الإجماع - على أنه كفر أكبر مخرج من الملة، كثيرة جداً، ويمكن جمعها في كتاب، لكن سأكتفي هنا بنقل بعض منها.

2 () القصص: (70).

3 () الفتح: (28).

4 () انظر: ((مجموع الفتاوى)) (387-35/388).

1- قول العلامة ابن حزم الأندلسي:

«لا خلاف بين اثنين من المسلمين ... وأن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام»⁽¹⁾.

2- قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«نُسَخُ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر»⁽²⁾.

3- قول الحافظ ابن القيم:

«قالوا: وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأنَّ دين الإسلام نَسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنَّه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا

¹ () ((الإحكام في أصول الأحكام)) (5/173)، دار الآفاق الجديدة، ط 1.

² () ((مجموع الفتاوى)) (35/200) - بتصرف يسير.

حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام⁽¹⁾.

4- قول الحافظ ابن كثير:

((من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين))⁽²⁾.

وقال في تفسير سورة المائدة (الآية: 50) ((ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال⁽³⁾) بلا مستند من شريعة الله.. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى

1 () أحكام أهل الذمة (1/259). قلت: إذا كان من اتبع التوراة أو الإنجيل عند ابن حزم وابن تيمية وابن القيم كافرًا؛ فكيف بمن اتبع القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر وحثالة عقولهم؟!

2 () البداية والنهاية (13/119).

3 () ليس هناك وصف للقوانين الوضعية أبلغ من هذا الوصف: ((آراء وأهواء واصطلاحات وضعها الرجال)).

حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل
ولا كثير)).

□□□□□□

□□□□□□□□□□□□□□□□
فصل في عدم الخروج على الأئمة
□□□□□□□□□□□□□□□□

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَلَا تَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ
السَّيْفُ. وَلَا تَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمَتِنَا وَوُلاةِ
أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا⁽¹⁾، وَلَا تَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا
تَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَتَرَى طَاعَتَهُمْ مِّنْ

¹ () أئمة المسلمين وولاة أمورهم هم من أقاموا فيهم الصلاة وحكموهم بشرع الله، ولم يُظهروا الكفر البواح، وإن جاروا و ظلموا، أمَّا من لم يقيموا فيهم الصلاة ونبذوا شرع الله خلفهم وحكموا فيهم غيره؛ فلا إمامة لهم ولا ولاية ولا كرامة.

وَمَنْ يُطِيعَ الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعِصِ
الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ عَصَانِي))⁽¹⁾.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ قال: ((إِنَّ
خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ، وَإِنْ كَانَ
عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدِّعَ الْأَطْرَافِ))⁽²⁾.

وفي ((الصحيحين)) أَيضًا: ((على المرءِ
المسلمِ السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره؛
إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ
؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ))⁽³⁾.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال:
((خيارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ،
وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَّارُ
أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ،

¹ () رواه البخاري في (الجهاد، باب يقاتل من وراء الإمام
ويتقى به)، ومسلم في (الإمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء
في غير معصية وتحريمها في المعصية).

² () رواه مسلم في (الإمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء
في غير معصية وتحريمها في المعصية).

³ () رواه البخاري في (الجهاد، باب السمع والطاعة
للإمام)، ومسلم في (الإمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء
في غير معصية وتحريمها في المعصية).

وتلعنونهم ويلعنونكم)). فقلنا: يا رسول الله! أفلا تنابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: ((لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة))⁽¹⁾.

فقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمرُوا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾⁽²⁾؛ كيف قال: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يُفردون بالطاعة؛ بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله⁽³⁾.

وأما لزوم طاعتهم وإن جازوا؛ فلائنه يترتب على الخروج من طاعتهم من

¹ () (صحيح). رواه أحمد في "المسند" (6/28)، ومسلم في (الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم).

² () النساء: (59).

³ () قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) () (29/196): ((الإمام العدل تجب طاعته فيما لم يُعلم أنه معصية، وغير العدل تجب طاعته فيما علم أنه طاعة)).

المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾⁽¹⁾

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (129)⁽²⁾.

فإذا أراد الرعيّة أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم؛ فليتركوا الظلم، اهـ



¹ () الشورى: (30).

² () الأنعام: (129).

فصل في الميثاق
□□□□□□□□□□

قال الطحاوي:

(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ
وَذُرِّيَّتِهِ حَوْثًا)⁽¹⁾.

الشرح: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من
أصلاهم؛ شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم
ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب
آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين

¹ () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 240-247)،
و((مجموع الفتاوى)) (8/65).
² () الأعراف: (172).

وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم:

فمنها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: ((إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان (يعني: عرفة)، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قُبلاً؛ قال: ألسْتُ بربِّكُمْ؟ قالوا: بلى شهدنا...)) إلى آخر الآية⁽¹⁾.

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: ((يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: رأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء؛ أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم. قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي شيئاً)).

¹ () (صحيح لغيره) . رواه أحمد في ((المسند)) (1/272) ، وابن جرير في ((التفسير)) (15338-شاکر)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم 202)، وانظر: ((السلسلة الصحيحة)) (رقم 1623).

وأخرجاه في ((الصحيحين)) أيضًا⁽²⁾.

□□□□□

□□□□□□□□□□
فصل في الإسراء والمعراج
□□□□□□□□□□

قال الطحاوي رحمه الله:

**(وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي**

² () رواه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم وذريته،
ومسلم في (صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء
بملاء الأرض ذهبًا)، وأحمد في ((المسند)) (3/127)،
129).

- اعلم - وفقني الله وإياك - أن أخذ الميثاق والإشهاد عليه
من أمور الغيب التي لا تتخلها عقولنا القاصرة، ويجب
علينا الإيمان بهما كسائر الغيبات، ومن أحسن من رأته
أوضح مشكلها وأبانه الشيخ حافظ حكيمي في ((معارج
القبول)) (1/84-94)، وللشيخ الألباني عند تخريج حديث
عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- السابق في
((السلسلة الصحيحة)) كلام جيد؛ فراجعه إن شئت.

الْيَقْظَةَ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا
أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، فَصَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى⁽¹⁾.

الشرح: المعراجُ: من العُروج؛ أي: الآلة
التي يُعرج فيها؛ أي: يُصعد، وهو بمنزلة السُّلَّم،
لكن لا يُعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من
المعَيَّبات؛ تُؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
وعُرجَ بشخصه في اليقظة. وإنَّ الإسراء كان
مرَّةً واحدةً بمكة بعد البعثة قبل الهجرة بسنة.

وكان من حديث الإسراء: أنه صلى الله عليه
وآله وسلم أسري بجسده في اليقظة على
الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى؛ راكبًا على البراق، صحبه جبرائيل عليه

¹ () انظر: شرح ((العقيدة الطحاوية)) (ص 223-226)،
و((مجموع الفتاوى))
(4/328، 5/256)، و((درء تعارض العقل والنقل)) (5/354).

السلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط
البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عُرِّجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى
السماء الدنيا، ثم عُرِّجَ به إلى السماء الثانية، ثم
إلى الثالثة والرابعة حتى السابعة، ورأى هناك
عددًا من الأنبياء، ثم رُفِعَ إلى سدرة المنتهى، ثم
رفع له البيت المعمور، فأوحى إلى عبده ما
أوحى، وفرض الله عليه خمسين صلاةً، فرجع
حتى مرَّ على موسى، فقال: يَمَّ أَمِرْتُ؟ قال:
بخمسين صلاة. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك؛
ارجعْ إلى ربك؛ فاسأله التخفيف لأمتك. فوضع
عنه عشرًا، ثم نزل حتى أتى موسى، فأخبره،
فقال: ارجع إلى ربك؛ فاسأله التخفيف، فلم
يزل يتردّد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى،
حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع،
وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييتُ من ربي،

البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة، وهو كُفْر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

فالجواب - والله أعلم -: أن ذلك كان إظهاراً لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سأله قريش عن نعت بيت المقدس، فنعتهم لهم، وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلوّ لله تعالى من وجوه لمن تدبّره، وبالله التوفيق. اهـ



فصل في أشراف الساعة

قال الطحاوي رحمه الله:

**(وَتُؤْمِنُ بِأَشْرَافِ السَّاعَةِ⁽¹⁾؛ مِنْ: خُرُوجِ
الدَّجَالِ، وَتُرُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُؤْمِنُ بِطُلُوعِ
الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ
مِنْ مَوْضِعِهَا)⁽²⁾.**

قال الشارح: عن حذيفة بن أسيد؛ قال:
اطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا

¹ () الشرط هو العلامة، والساعة القيامة، والمقصود
بأشراف الساعة؛ أي: علامات القيامة التي تسبقها وتدل
على قربها.

وقد قسم العلماء أشراف الساعة إلى صغرى وكبرى:
والصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة؛ كبعثة
النبي ﷺ ..
: ..
.

² () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 499-502)،
و((مجموع الفتاوى)) (36/45).

ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ((ما تذاكرون))؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: ((إنها لن تقوم حتى تَرُونَ قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر: الدُّحَان، والدُّجَال، والدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نازٌ تخرج من اليمن؛ تطرد الناس إلى محشرهم)). رواه مسلم⁽¹⁾.

وفي ((الصحيحين)) عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: ذُكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ((إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعورٌ عين اليمنى، كأنَّ عينه عنبه طافية))⁽²⁾.

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى

¹ () (صحيح). رواه أحمد في ((المسند)) (4/6)، ومسلم في (الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة).

² () رواه: البخاري في (التوحيد، باب قول الله تعالى: **وَلِيُضْمَعَ عَلَيَّ عَيْنِي** □ ، ومسلم في (الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه).

الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيضُ المال؛ حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها)). ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (159) ﴿ [النساء: 159].

وأحاديث الدجال وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم... يضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

¹ () (صحيح). تقدم تخريجه (176).

تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ^(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس؛ آمن من عليها؛ فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل))⁽²⁾.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو؛ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها؛

¹ () النمل: (82).

² () رواه البخاري في (التفسير، باب قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ وَمسلم في (الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان).

فالأخرى على إثرها قريبًا))⁽³⁾؛ أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجّال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدّابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أنّ طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية. اهـ



³ () رواه مسلم في (الفتن، باب خروج الدجّال ومكثه في الأرض).

فصل في الجنة والنار

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

**(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْتَيَانِ أَبَدًا
وَلَا تَبِيدَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ
قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ
إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ
عَذَابًا مِنْهُ، وَكُلُّ يَعْْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِعَ لَهُ، وَصَائِرُ
إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْحَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى
الْعِبَادِ)⁽¹⁾.**

الشرح: أما قوله: ((إن الجنة والنار مخلوقتان))؛ فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك.

¹ () انظر ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 420-432)، و((مجموع الفتاوى)) (18/307).

فَمِنْ نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة:
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ (١)، وعن النار:
 أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢)، إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
 مِرْصَادًا لِلطَّاغِيْنَ مَا بَا (22) (٣)، وقال
 تعالى: وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ
 سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ
 الْمَأْوَىٰ (٤).

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، ورأى عندها جنة
 المأوى؛ كما في ((الصحيحين)) من حديث
 أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي
 آخره: ((ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى
 سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما
 هي)). قال: ((ثم دخلت الجنة؛ فإذا هي جنايدُ
 اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)) (٥).

-
- 1 () آل عمران: (133).
 2 () الحديد: (21).
 3 () آل عمران: (131).
 4 () النبأ: (21، 22).
 5 () النجم: (13-15).

وقوله تعالى: ﴿ أَكُلُّهَا دَأَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾^(٢).

وقد أكدَّ اللهُ خلود أهل الجنة بالتأييد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنَّهم: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾^(٣)، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضمَّمته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ تبيَّن أنَّ المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدَّة الخلود؛ كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت؛ فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة؛ كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ

1 () الرعد: (35).

2 () الحجر: (48).

3 () الدخان: (56).

يدخلُ الجنةَ ينعمُ ولا يبأسُ، ويخلدُ ولا يموتُ))⁽¹⁾،
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يُنَادِ: يا أهل الجنة! إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا
تسقموا أبدًا، وأن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وأن
تحَيوا فلا تموتوا أبدًا))⁽²⁾، وفي حديث ذبح
الموت بين الجنة والنار: ((يقال: يا أهل
الجنة! خلودُ فلا موت، ويا أهل النار! خلودُ
فلا موت))⁽³⁾.

وأما أبدية النار ودوامها؛ فإن الله تعالى
يُخرج منها من شاء؛ كما ورد في السنة،
ويُبقي فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له.

¹ () (صحيح). رواه: أحمد في ((المسند)) (15/190/رقم
8030 شاكر)، ومسلم في (الجنة، باب في دوام نعيم
أهل الجنة)؛ بلفظ: ((من يدخل الجنة؛ ينعم ولا يبأس؛ لا
تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)).

² () رواه مسلم في (الجنة، باب في دوام نعيم أهل
الجنة) بنحوه، وأحمد في ((المسند)) (16/113/رقم
8241-شاكر).

³ () رواه البخاري في (الرقاق، باب ١٠ وَأَن نَّذِرُهُمْ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ) ومسلم في (الجنة، باب النار يدخلها الجبارون،
والجنة يدخلها الضعفاء).

ومن أدلة بقائها وعدم فنائها: قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ (١) لا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ (٢) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ (٣) وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ (٤) لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۝ (٥) .

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله، وأحاديثُ الشفاعة صريحة في خروج عُصاة الموحّدين من النار، وأنّ هذا حكمٌ مختصٌّ بهم؛ فلو خرج الكفار منها؛ لكانوا بمنزلتهم، ولم يختصَّ الخروج بأهل الإيمان.

وبقاءُ الجنّة والنار ليسَ لذاتهما؛ بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: **((وخلق لهما أهلاً))**: قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

1 () المائة: (37).

2 () الزخرف: (75).

3 () النساء: (169)، والبيّنة: (8).

4 () البقرة: (167).

5 () فاطر: (36).

الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ۖ (1)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)) (2)، رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وقوله: ((فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه...)) إلى آخره: مما يجب أن يُعلم أنّ الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح؛ فإنه: ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ (3)، كذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب؛ فإن الله تعالى يقول: ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ (4)، وهو سبحانه المعطي المانع، لا

1 () الأعراف: (179).

2 () رواه مسلم في (القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة)، وأحمد في ((المسند)) (6/41).

3 () طه: (112).

4 () الشورى: (30).

مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لكن إذا مَنَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً؛ بل يُعطيه من الثواب والقُرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك؛ فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك حكمة منه وعدل؛ فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله، وأما المسببات بعد وجود أسبابها؛ فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسباباً غير صالحة؛ إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع.

وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعطِ ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمةً منه وعدلاً؛ فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل؛ فإن الله تعالى حكيم، يضع الأشياء في مواضعها

□□□□□□□□□□□□□□□□

فصل في ذم الكلام
ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة

□□□□□□□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□□□□□□□

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

**(وَلَا تُبْتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ
التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ)⁽¹⁾.**

الشرح: أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم
لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها
ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب
الزهري رحمه الله؛ أنه قال: ((من الله الرسالة،
ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم))⁽²⁾.

وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ.

وقال الطحاوي:

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 201-203).
2 () رواه البخاري تعليقاً في ((كتاب التوحيد، باب قول الله
تعالى: □ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ..□)).

(فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَفْتَحْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنِ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ)⁽¹⁾.

الشرح: هذا تقريرٌ للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يُتَكَلَّمُ في أصول الدِّين - بل وفي غيرها - بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ⁽³⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل، (ثم تلا) : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا

¹ () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 203-208)، و((مجموع الفتاوى)) (36/60).

² () الإسراء: (36).

³ () الحج: (8-9).

جَدَلًا [الزخرف:58]— رواه الترمذي،
وقال: حديث حسن⁽¹⁾.

ولا شك أن من لم يسلم للرسول؛ نقص
توحيده؛ فإنه يقول برأيه وهواه، ويقلد ذا
رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من
توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول؛
فإنه قد اتخذ في ذلك إلها غير الله.

قال تعالى: ^٢ أَيُّ عِبَادٍ مَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ هُوَ
هُوَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث
فرق؛ كما قال عبد الله بن المبارك رحمة
الله عليه:

الْقَلْبُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ
وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَاللُّزُومُ الذُّنُوبِ حَيَاةٌ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَضْيَانُهَا

¹ () (حسن). رواه الترمذي في (تفسير القرآن، باب
ومن سورة الزخرف)، وابن ماجه في (المقدمة، باب
اجتناب البدع والجدل)، وأحمد في (المسند) (5/252)،
(256).

² () الفرقان: (43).

وَهَيْلُ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمَالُ وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة
بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها
على حكم الله ورسوله.

وأخبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن
الشريعة، بأرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة
تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه،
واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما
قيده، وتقييد ما أطلقه... ونحو ذلك.

والرهبان، وهم جهَّال المتصوفة،
المعترضون على حقائق الإيمان والشرع
بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات
الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن
به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه

وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا : وَأَخْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا !

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

الشرح: هذه الحالة حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويردّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنّفه ((أقسام الذات)): ((لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** (١)، **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** (٢)، وأقرأ

1 () انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص 208-210).

2 () طه: (5).

3 () فاطر: (10).

في الإنفي: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (1) وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (2).

ثم قال: ((ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي)).

وقال أبو المعالي الجويني: ((يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به)).

وقال عند موته: ((لقد خضتُ البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموتُ على عقيدة أُمِّي (أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور)).

ومن يصل إلى مثل هذه الحالة، إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا؛ تزدق.

قال الشافعي رحمه الله:

((حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر،

1 () الشورى: (11).

2 () طه: (110).

ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)).

وقال: ((لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشرك بالله - خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام)). اهـ

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب. اهـ

((انتهى الملحق بحمد الله وتوفيقه))

□□□□□□□□

□□□□□□

□□□□

□□